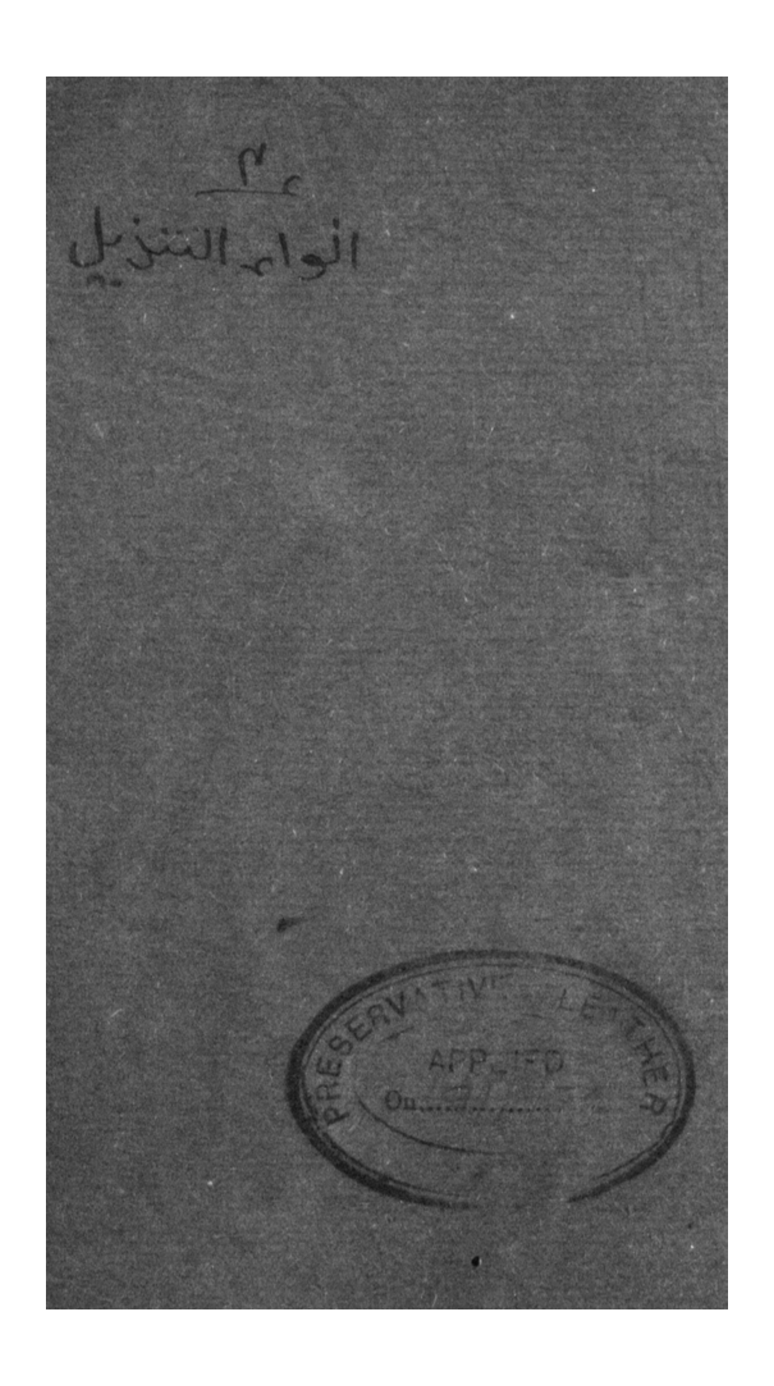
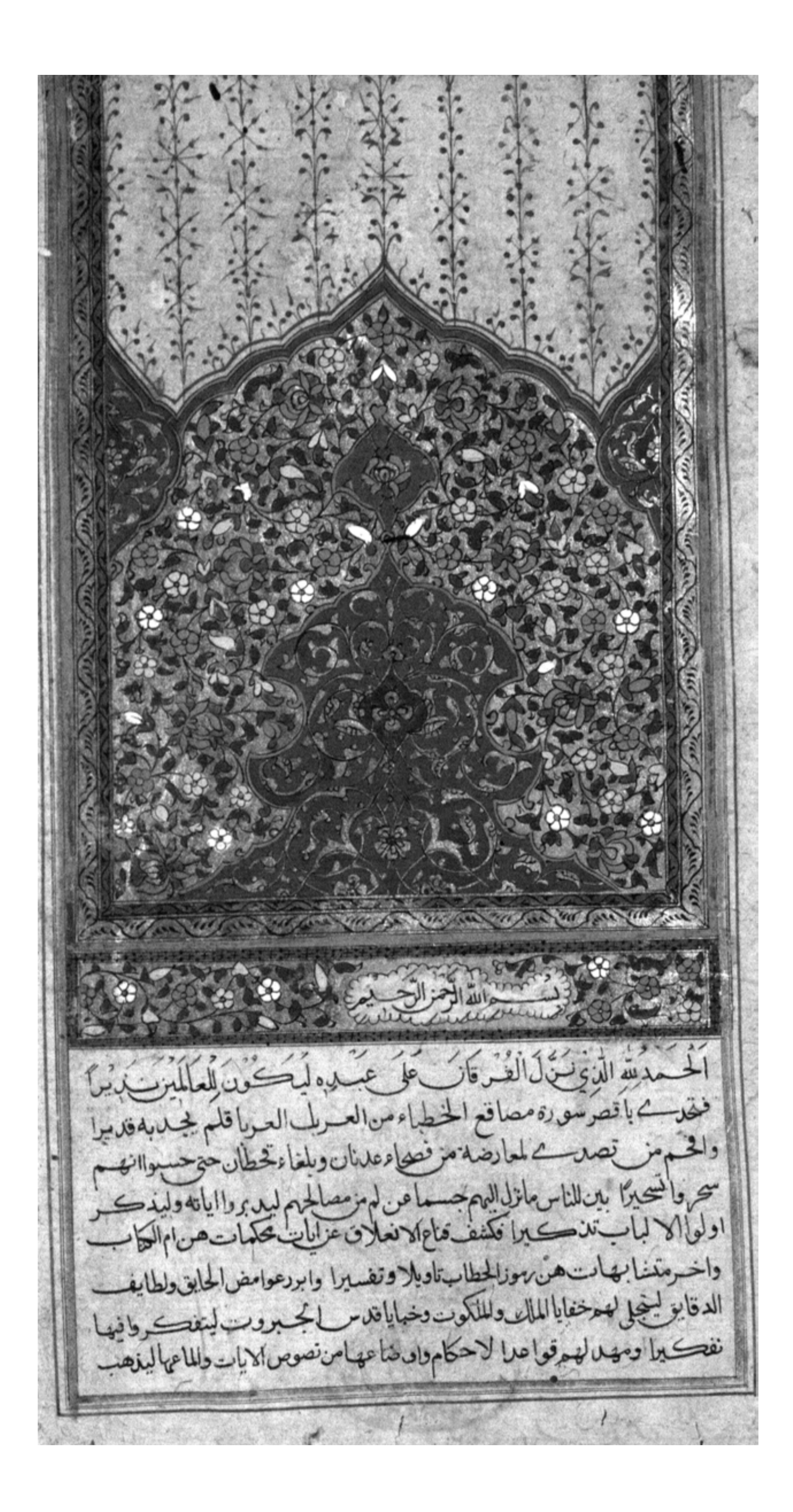

انوار التنزيل


IMPERIAL LIBRARY
22. DEC. 04
IMPERIAL
LIBRARY



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
فتحدى باقصر سورة مصاقع الخطباء من العرب العربا فلم يجد به قديرا
وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم
سحروا تسحيرا بين للناس ما نزل اليهم حسما عن لم من مصالحهم ليدبروا اياته وليذكر
اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف
الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها
تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب

عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في
الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفى نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا
فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة
توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض
علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا

فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس
العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن
كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطايف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل
المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات [illegible]
الى الايمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا [illegible]
[illegible] عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة [illegible]
عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته [illegible] فها انا الان اشرع [illegible]
توفيقه اقول وهو الموافق لكل خير ومعطي كل سؤل [illegible]
بانوار التنزيل واسرار التاويل وعليه التاويل [illegible] وتسمى ام القران
لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل
على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على
جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر
والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية
والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان
منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح
انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه
قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام

وفقهاءها ومالك والاوزاعى ولم ينص ابو حنيفة فظن انها ليست من السورة
عنده وسيل محمد بن الحسن الشيبانى عنها فقال مابين الدفتين كلام الله تعالى لنا
احاديث كثيرة منها مارواه ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها اختلف فى انها اية برا[سها]
بما بعدها والاجماع على ان مابين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها فى المصاحف
مع المبالغة فى تجريد القران حتى لم يكتبا مين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله
اقرا لان الذى يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبداء له وذلك اولى
من ان يضمر ابداء لعدم مايطابقه ومايدل عليه او ابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول هاهنا
اوقع كما فى قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص
وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل
[illegible] الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى قوله عليه
[illegible] [يب]داء فيه بسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا بسم الله
[illegible] بعد او ما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على
[illegible] فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان يفتح
[illegible] ومن الحروف فيه والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة
على المظهر للفصل بينهما [illegible] لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتداء بها همزة الوصل
لان من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء
واسامى وسمى وسميت ومجى سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
اثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله
ورد بان الهمزة لم يعهد داخله على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم
قال باسم الذى فى كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات
مقطعة غير قارة ومختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون
كذلك وان اريد به ذات الشى هو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم
ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الفاظ

للموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى
الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راى الشيخ ابى الحسن الاشعرى رحمة الله عليه
انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما هو ليس عينه ولا
غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب
الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت
الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق
والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة
والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير
في معرفته او من الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح
تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ
العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد
مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله
ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله
كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع
على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها
لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم
يجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله
لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاولى والاظهر انه وصف في اصله
لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه
في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته
من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه
بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر
في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح
ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به

رح اليمين وقد جاء بضرورة الشعر ألا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك
في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب
والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم
لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا
لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة
وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار
كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك
لا يصدق على غيره تعالى لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك
لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن
من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره
او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون
كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الاي والاظهر انه غير مصروف وان
حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا بالاغلب في بابه
وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور
هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه
بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به
عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها و
المدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه
بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه في قوله عليه السلام الحمد راس الشكر
ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد

قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد
ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال وما
بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله
باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب
في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه
يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا
كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والا
عراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته يدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم به الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح والنداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه
دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل
على ما سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك
اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء
من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك
بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او على الحال ومالك بالرفع منونا
ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم
الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة   ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا   اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى
اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية
معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين
وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها

مالك الامور هم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه
بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من
طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد
ليكون دليلا على ما بعده وهو اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد
وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه
ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به
الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من
هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من
البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول شاهدا
والغيبة حضورا بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل
في اسمائه والنظر في الايات والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى
بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا
ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة
العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا
جاءني وخبرته عن ابي الاسود وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء
والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من
الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه
عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل
هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها
ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان
في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى

والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل و
تصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل
وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في
الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عباداتهم
وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة
على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث
انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس
وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما
حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص
على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على
طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه
بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى
نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم
ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود
الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى و
اختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى
التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلايل
الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف عن قلوبهم السراير ويريهم الاشياء كما هي بالوحي
او الالهامات والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول
المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا
ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل او بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك

قال النحرير ينبغي ان يكون التقديم لمجرد الاهتمام ... لكان المعنى نخصك لا نخص غيرك وليس هذا معنى اياك نعبد وان ... النفي

الطاعات

وحكي عن سفيان الثوري انه ام قوما في صلوة المغرب فلما قال اياك نعبد خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خفت ان يقال فلم تذهب الى ابواب الاطباء والسلاطين

على تقدير ان يكون المراد من الاستعانة اعم من ان يكون على العبادة او على ساير الكمالات

والهداية الايصال الى المطلوب وهدى يتعدى بنفسه كهذه الاية وباللام وبالى ... لا تا ... لاهدنا

هذا جواب عن سؤال مقدر وهو ان يقال ما معنى طلب الهداية وهم مهتدون

على رواية ابن مسعود

لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك

وهذا اقول المتعقة ... يعرف في موضعه

يسمى لقماً لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون

اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد

وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه صرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به

طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير

العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على

آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين

وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم

والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت

لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان

روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كخلق البدن والقوى الحالة

فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة

وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوأه في

اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد من النعمة هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما

عدا ذلك يشترك فيه المومن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين

سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة

الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود

كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف

الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل

انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله

تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف الاول فانه في محل النصب

ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب

كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي

عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من

لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال

المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به

فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا

وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمز على لغة من جد في الهرب

عن التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل
بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال الناظم يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال امينا وقال
تباعد مني فطحل اذ سالته امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل امين
عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه امين ختم رب العالمين ختم به
دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع
بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله
عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقران مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ولن تقرا حرفا منهما الا
اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من
صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مائتان
وستة وثمانون اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي يتركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك
عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه لان تخصيصه به عرف مجدد بل
المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما
يقرع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه و
مقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة
اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن
تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن
اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من
الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق
للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح
اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف
مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية

المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي
الصاد والطا والضاد والظا نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها
ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في
الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخا والغين والضاد والظا نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها
ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها احد طويت منها الستة الشايعة المشهورة
التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم اربعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في
حذاق والعين في عن والثاء في ثروغ الدلو والباء في با اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة
المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والها والعين و
الصاد والطاء والميم واليا والخاء والغين والضاد والفا والظا والشين والزاى والواو والفا نصفها الاقل
ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحا والقاف والكاف والرا والسين واللام والنون لما في
الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزا والشين
والفا نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي
هي الحا والخاء والعين والغين والها والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز
عن السباعية ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت
الكلم وتركيبها وجدت الحروف الملغى ذكرها من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية
وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين
فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع
ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير الحذف كمن وبه كدم في تسع سور
لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف
وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاثة عشر سورة تنبيها
على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان
لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد مع ما فيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى
هذا المتحدى به مولف من جنس هذه الحروف والمولف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها
اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه
بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى
ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني
باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل

على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستئناف اخر كما قال قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت
لها قفي فقالت قاف والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناها انا الله اعلم ونحو ذلك
في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد عليه السلام اي القران منزل من الله بلسان
جبريل على محمد عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليه الم البقرة فحسبوه فقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون
سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ
فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها
لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس ودلالة على كون الحروف المبسوطة
مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة
العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكرهة عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل
من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع
والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسما ومبادي
الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها
اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان
كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشيا لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسما انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة
بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف
المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور
والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع
واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسما القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها
اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من
اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها
ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انها سر استاثر الله بعلمه وقد روي
عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد
بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما
الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره او الجر على اضمار حرف القسم
ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك و

اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان بقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالا

او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية

بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات

المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شي منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم

فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم اية وحمعسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا

مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما

تكلم وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته

او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا

ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المنظوم المفعول للمبالغة فقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس ثم اطلق على

المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه

بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة

نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا تحقق لهم انه ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه

لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء

اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك

الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق و

الهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلال

في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم

المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس

او انه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه

كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء

ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان

تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه

عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم

كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في

الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشرا

شره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة

واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتداء على انه اسم للقران او السورة او مقدر بالمولف منها و
ذلک خبره وان کان اخص من المولف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المولف الكامل في تاليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتداء محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا
والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان
لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله
تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين ساير الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى
نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى
كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة
ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المولف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب
جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم يحمل على كماله
بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى من الحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له جملة مبتدا جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا
يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل المدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى
به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث
الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحد منها نكتة
ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف
حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصولة
بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير
على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من
الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات و
التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد
الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة
بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين
واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق
ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق
بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب

واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل
بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير
داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في
قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في
مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى
بالباء هو التصديق انه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق القلبي
هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم
الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا
يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية اذا جعلته صلة للايمان
واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به
لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد
بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة
وعلى الثالث للالة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه
او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها
عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى
الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة
من الخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة
وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني
مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما

رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء
بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر
عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام لا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق
فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حلالا وحراما واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص
ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره
مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت ما يوافقه في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف
المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو
شقيقها وتقديم المفعول به للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف
المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه
السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين
يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك
وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى
للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة الصابح فالغانم فالآيب على
معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان
بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنو
اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وذلك لا يتحقق في الكلام وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به
الى الرسول فيلقيه والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه
مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله حينئذ منزلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وساير
الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض عين

ونكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اى يوقنون
ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
واختلافهم فى نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفى دوامه وانقطاعه وفى تقديم الصلة وبناء يوقنون على
هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم فى امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين
اتقان العلم بنفى الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم البارى تعالى ولا العلوم الضرورية
والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة فى وجوه ووقتت
ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة فى محل الرفع ان جعل
احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين
يؤمنون الى الآخرة الآية والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال
ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك صديقك القديم حقيق بالاحسان
فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من
بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء فى على هدى تمثيل تمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشئ وركبه وقد صرحوا به فى قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد
غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل
ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلى فلا وابى الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فى الراء بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحدة من الاثرتين
وان كلا منهما كاف فى تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية
مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او
مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذى انفتحت له وجوه الظف
والظفر وهذا التركيب وما يشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين و
خصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام
على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء
اثرهم وقد تشبث به الوعيدية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون

في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة
عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع
فيهم الهدى ولا تغني عنهم الايات والنذر فلم تعطف قصتهم على قصة المومنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه و
المتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع
في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية
للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها
فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض
الشك في مثل ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان
عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد
ابن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة
ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق
الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه
لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم
أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كان قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما
لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى يوم ينفع الصادقين صدقهم واذا قيل لهم امنوا وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل
ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وايهام وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع
في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع واذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم
النفع اولى وقرئ انذرتهم بتخفيف الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب

ولا يؤدي الى الجمع بين الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لَا يُؤْمِنُونَ جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء

بجمال

فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء وعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو والعبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يخفى الزام الحجة كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات خَتَمَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه

بهام

الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك

حجاب

جاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا والآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه
وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم
بسمة تعرفها الملئكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام من قبلنا فيما يضاف الى الله تعالى من طبع و
اضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم كقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا
في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص
بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين
واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير
مضاف ومثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو
وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق
ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش
ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال
فعل الختم بنفسه اليه فالمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد
وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء
العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع واطلق على كل الم فادح وان لم يكن
نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى
التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم
نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين
الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى بضدهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا و
لم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذبين بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس
واناسي فحذفت الهمزة في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على

الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم
او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد
فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه
فانهم من حيث انهم صمموا على الكفر لا يأبى دخولهم في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون
الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان
وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف
بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه
واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا
مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على
الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ
وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار لانه اخر الاوقات المحدودة وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ انكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا اثباته كان اصله وما
امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم
من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى
انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به اي بالله وباليوم الاخر لانه جوابه والاية تدل على ان من
ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره
وضب خادع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان
لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية
ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله
من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم
مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم
الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول

او استيناس

او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة
والفعل متى غولب فيه كان ابلغ فيه اذا جاء بلا مقابلة ومعارض استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين
من الاكرام والاعطا وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعونها الى منابذيهم الى غير ذلك من
الاغراض والمقاصد وما يخدعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة
اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني
الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخادعون لان المخادعة لا تتصور الا
بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول
ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل
الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث
عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما
يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس
الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في
قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل
في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي
لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة
تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شانه يوما فيوما
وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي
عليه السلام ونحوها فزادها الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة
الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله كاسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض
ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم
كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا
وقرأ الباقي يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب
الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر
ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق

العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه
الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان
ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله
حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشي عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما
يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار
عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يودي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار
المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم
والقايل هو الله تعالى او الرسول او بعض المومنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل
المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد
لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا
الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على
تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر
ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة
للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا
يشعرون واذا قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي
وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما امن الناس في حيز النصب
على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية
العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة
منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما
الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم
واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انومن كما امن
السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما
سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي
يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم

فان الجاهل

فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله
فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا
لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق
وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم وإذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان
مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير وروي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال
لقومه انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني
تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم لكن
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه
جعلته بحيث يلقى وإذا خلوا إلى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي
عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد
بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر
وكبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد
عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا
إنا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة
بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن
لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المومنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المومنين
من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار إنما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء
المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا
لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المومنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء
السخرية والاستخفاف يقال هزات واستهزات بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل
السريع يقال هزا فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزا به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو
لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم

واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم
في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان
يعارضوهم وان استهزاءهم لا يوبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم
ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولم
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده
اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه
يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على
ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم
طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المومنين انشراحا ونورا
او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب لما اسند
المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم
ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه
كما في قوله واختار موسى قومه والتقدير يمدهم الله استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا
لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمها
لا منار بها قال ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا
تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله
مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سوا
كان من المعاني والاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل
العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره
والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها
واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم
اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة
وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا

مُهْتَدِينَ لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين
لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم و
اختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين ايسين عن الربح فاقدين
للاصل مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح
والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله
في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبيا والحكما والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه و
شبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله
ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم
كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه
غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق
التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به
جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار
وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ اي
النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشيا و
اماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على
المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض
سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير
على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد
الاذهاب الى الله تعالى الكل بفعله او لان الاطفا حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة
ولذلك ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي
هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء
ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة

خالصة اي لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد وضمن معنى صير فجرى
مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقول الشاعر وتركته جزر السباع ينشنه والظلمة
ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر و
ظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او
ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة النفاق السرمدي وظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعوله
لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى
فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى [illegible] تحت
عمومه هولاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين
خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما [illegible] صح له
احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة ومثل لايمانهم من حيث
انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار
الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم او افشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا بالسنتهم ويتبصروا
الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله شعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها
عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل المستعار منه لولا
القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة
يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول ان له حاجة في السماء ونظيره
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذ
لكة ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول
تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان
حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون
الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام
يتاخرون والى حيث ابتدوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم
واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم وكه

فالاصل

في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله
تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة و وجوب العصيان ومن ذلك
قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه
بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب
قال الشماخ وابحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر
شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء
كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل
والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب
المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق
لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل و
ارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشي
بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو
وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون
من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف
وكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع
الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة
رعد هائل معها نار لا تمر على شي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل
مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية و
الكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما
والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك
الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد
اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف

عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكد القرب
بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى
المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرى يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء
ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء الهاء كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضا
اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا
وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة
الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشي المستغرب كقوله فلو شئت
ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة
انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرى لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه
على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيته تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله
ان الله على كل شي قدير كالتصريح به والتقرير له والشي يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شا اطلق
بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شي اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشي اخرى
اي مشي وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شي قدير الله
خالق كل شي فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشي ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب
والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل
العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شا فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير الفعال
لما يشا على ما يشا ولذلك قل ما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن
حال بقايه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شي وكل شي مقدور والظاهر ان

التمثيلين من جملة التمثيلات المولفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاوه وتلاصقت
حتى صارت شيا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال
اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال
المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء
في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
وهو ان تاخذ اشيا فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا
الظل ولا الحرور وقول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
بان [illegible] ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا
به من [illegible] وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال
ذلك عنهم [illegible] باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم
والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد
وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا
عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت
من حيث انه لا يرد من قدر الله شيا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون
ويذرون بانهم كلما دنوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطوات
يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وساير ما اوتي
الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من
شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد
وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه
فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع
لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
وتوقفهم في الامر حين يعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى و
الفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي
يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم
ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب

تنزيلا له منزلة البعيد اما للعظمة كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته
وسوء فهمه او للاعتنا بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل
وايّ جُعل وُصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين
واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود و
اقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما تستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة
في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان
يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها
المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثنا منها والتوكيد بما يفيد [illegible]
فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين [illegible] النزول
ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين [illegible] قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني
ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة
والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشي وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر
لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال
ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل
ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق
ايجاد الشي على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم**
متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت
مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول
وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه
لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين
بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من
كل شي سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى
انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه

وغلب المخاطبين على الغايبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي
تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على
ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان
العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ
الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا
تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجي على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص
بني ... الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات و
النور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول
او العقد تارة اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها
متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك
لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها كالجبال والسماء
بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة
والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها
خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله
ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما وابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشيا كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشايها مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا
الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن للابتداء سواء اريد بالسما السحاب فان ما علاك سماء
او الفلك فان المطر يبتدا من السما الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية
تثير الاجزا الرطبة من اعماق الارض الى جو الهوى فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله
تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتنافه المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزل من السماء بعض الماء فاخرجنا
به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر
كل الثمار ولا جعل كل المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا
وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه
ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا
من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به

المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا
على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشيا الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا
لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء
للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا
يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر
وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون
من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا
عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان
تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان
يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون
مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم
الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ
والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم
ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه
انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق
اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم
والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب
عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام
الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض
والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس
وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرة المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية
المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصلة الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة
محمد عليه الصلاة والسلام وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب

عما رضته من فصاحة الخطبا من العرب العربا مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعا
بالمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما
بحسب الوقايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف
العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرى عبادنا يريد محمدا وامته
والسورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور
المدينة لانها محيطة بطايفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتوا سور
المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارى او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية او القطعة من الشي والحكمة في تقطيع
القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ و
الترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ
متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطايفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك
عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوايد من مثله صفة سورة اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن
للتبعيض او للتبيين وزايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن
للابتداء اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا
او الضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير ايات التحدي ولان
الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة
الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابنا جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما
اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولا يلايمه قوله وادعوا شهداكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم
ويعينهم والشهدا جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به
لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول
في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من
الشي ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير
للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشي الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد

وتخطى امر الى اخر قال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين اى لا يتجاوزوا ولاية
المومنين الى ولاية الكافرين قال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا
يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم
غير الله فانه لا يقدر على ان ياتى بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله
ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله
اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول
الاعشى تريك القذى من دونها وهى دونه اذا ذاقها من ذاقها يتمطق ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد
فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اى من دون اولياء الله يعنى فصحاء العرب ووجوه
المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
إن كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع
اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فإن
لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته
على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى
اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا
عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا
صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه
وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم
المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم
ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان
اريد المصدر فعلى حذف مضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كالجمالة جمع جمل وهو
قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها

والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم
وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من
العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها
وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله
عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة
قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها
يجب ان تكون قصة معلومة أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد
بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا
للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل
الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور
القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤا
الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه
عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما
دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان
النار مخلوقة معدة لهم الآن وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة
الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل
نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي
ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم
ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنوا بما اعد
لهم وقرئ وبُشِّرَ الذين آمنوا على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر
السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده
من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا فاما قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة و
هي من الصفات التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام

بظهر الغيب يأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس
وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين
الوصفين فان الايمان هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبنا عليه ولا غناء باس لا بنا عليه
ولذلك قلما ذكر منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشي لا يعطف على نفسه ولا
هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة
المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة
كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا
ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في
الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها
لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى
ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال
واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة
فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان
يستمر عليه حتى يموت وهو مومن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله لم يقيد هاهنا استغنا بها تجري
من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة
تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود
هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماوها على الاضمار او على المجاز او المجاري
انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما
قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على
الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء وقعتان موقع الحال وتقدير الكلام و
معناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات
وابتداوه منها بابتداه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال
ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك
مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب

جزايه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذى ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته
ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول
ما رات فان الطباع مايلة الى المالوف ومتنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم
يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او فى الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما
روى انه عليه السلام قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هى واصلة
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته
على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم
وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة وأتوا به متشابها اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذى رزقنا من قبل
ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان
قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس فى الجنة من
اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم
وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا
فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا
الذى رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد
نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم
من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق
والافعال وقرى مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
الشاعر واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب لقدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على
تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة
للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل
لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفايدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وساير احوالها
انما تشارك نظايرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة
والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها وهم
فيها خالدون دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل

للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لا يقوى شى منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد فى بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دلت عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم فى الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات الفقهاء البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقد واصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل

كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحي
من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل عن
الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية خاصة ان تكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب
المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب
بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد
كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد
اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضع لان يذكر مع غيره فيفيد له
وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال
تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما
وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله
الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره
فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على
هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب و
العنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او
في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في
الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في
الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه
فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل ما اجمل
ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما
يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها
الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير
الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان
يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة

من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ كان من حقه واما
الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم
عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية
وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان تكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على
المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني
قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه
غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها وعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام
الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه
دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال
ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا جواب ماذا اي اضلال
كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما
وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق
وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل
الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
باعتبار الفضل والشرف كما قال الشاعر قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال الشاعر ان الكرام كثير في
البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى
ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال
رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث
الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها
والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من
عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه
الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرف وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت

ضلالتهم فانكروه واستهزؤوا به وقرئ يُضَل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون**
عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله
في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع
لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل
في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها
على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية
واليمين ويقال للدار من حيث تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل
وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول
قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته
وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا
يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به
عهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن
للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله
تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في
التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله
وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو و
قيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما
قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب
والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن
الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون**
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن
في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي
يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق

لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على
طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون
وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم
بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم
يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد
الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان
علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب
لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى
لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه
سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب
عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية
الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى
المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها
مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف
يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم
يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة
حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها
يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف به الباري تعالى اريد بها صحة
اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط وفي دينكم
بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض
مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع

اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم
كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني
ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا
من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير
سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسما
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السما على خلق الارض كقوله
ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه
يدل على تاخر وجود الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحاها
مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة عن العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت
بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او
تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في
الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشيا كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال
بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها
بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد
ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزا كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شي منها
ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر
مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة
للجمع والحيوة واشار الى وجه اثباتها البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول
ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما
بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم
وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على عدم تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي
من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم

الهاء

الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ
ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى ولذلك يجب
اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب
ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكروا اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف
ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا
او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل على الاصل كالشمائل جمع
شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة
معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع
شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس
فهم رسل الله او كالرسل اليهم وقد اختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة
بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل
كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة
الحق والتنزه عن الاشتغال بالغير كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون
والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته
في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس
ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من
الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل
فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل
لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم الله موسى عليه السلام
في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء
اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي

ذهوا خليفة

ذكلا وخليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد
اللفظ اما للاستغنا بذكره عن ذكر بنيه كما استغني في ذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من
يخلفكم او خلفا يخلفكم وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده
سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسوالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها
او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله
تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلقي من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم
ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب
فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في
الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البنا للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا
او موصوفا محذوفا اي يسفك الدما فيهم وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ حال مقررة لجهة الاشكال كقولك
اتحسن الى اعدايك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقا بذلك والمقصود
منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملايكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
كانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك
الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو
باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم
ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت
مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب
يقصر عنه الاحاطة بالجزييات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوة الى الفعل
الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ والتسبيح تبعيد اسم
الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والما وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد و
قدس اذا طهر لان مطهر الشي مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما
الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدما الذي هو اعظم

يفيد ما

الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدس لك واللام مزيدة وعلم آدم الأسماء كلها
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او من الادمة
بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من الارض سهلها
وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء
ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى
سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم
بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة
مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشيا وخواصها واسمايها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية الاتها ثم عرضهم
على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه
لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا لان العرض السؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشيا او مدلولات الالفاظ و
تذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة
المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون
من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق
اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد
بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل
عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا
باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان الفاخر و
تصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى

عليه السلام

عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى
عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في
قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولهذا جاز يا هذا الرجل
ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم
وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء
به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم
من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا
مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء
بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة
للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية
العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان
لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع
والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم
العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم بالاسماء
وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به
قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم
واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر
عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود
في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر جيوش اضل البلق في حجراتها ترى الاكم فيه سجدا للحوافر و
قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة
والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما
لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها

ونسختها في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملايكة الى استيفا ما قدر لهم من الكمالات ووصلة
الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته
وشكرا لما انعم عليهم بوسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس
بالقران والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به
كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملايكة كلهم او طايفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه
ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا
بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يومر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده وهذه الاية تدل على
ان ادم افضل من الملايكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملايكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناوه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان
من الجن فعلا ومن الملايكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملايكة نوعا يقال لهم الجن ومنهم ابليس
ولمن زعم انه لم يكن من الملايكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملايكة وكان مغمورا بالالوف منهم
فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملايكة لكنه استغنى بذكر الملايكة عن ذكرهم فانه اذا علم
ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا
راجع الى القبيلين وكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملايكة من ليس بمعصوم وان
كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملايكة
لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما
وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه
بقوله عز وجل الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملايكة خلقت من نور والجن
من نار لما روت عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملايكة من النور وخلق الجن من مارج من
نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضي والنار كذلك غير ان ضوها مكدر مغمور بالدخان
محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى
نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب
واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوايد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه

الى الكفر والحث على الائتمار بامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى
على الكفر فهو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا
ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث و
وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انها كانت بستانا كان
بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض
الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي
مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة
للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب
ويلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة
ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما
يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة
او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ
بكسر وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره
عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما
متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين
واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل
له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة
والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس
فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء
بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم من
ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها

استقبلته وبلغته وهي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى
قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب
ان تبت واصلحت اراجعي الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام
والجراحة والحركة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة
وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك
طوي ذكر النسا في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة و
اصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع
من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتايب بالاحسان مع العفو قلنا
اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها
ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط
المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي
ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها
الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن
تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم
نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كاين لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى
ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما
يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة
هذيل فلا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا و
كذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال
للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها
على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او اييه كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة

او ما يعمها

او ما يعمها والمعقولة **تنبيه** وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم السلام من
وجوه الاول ان ادم صلوات الله عليه كان نبيا فارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من
الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال
فعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه انه خاسر
لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو
لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي
للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى به واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب
عنه في موضعه ان شاء الله وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء
بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن
اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبيا لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبيا
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السم على
الجاهل بشانه لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الايتين لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما
قال له ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله
الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى
عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا و
ذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وحل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها
اولاده وفيها دليل على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة
وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه
لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها بتعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب
السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان
واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم و
الكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من امن
بمحمد وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع
الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل
عبد الله وقرئ اسرال بحذف الياء واسرل بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر

الى ما انعم الله به على غيره حملته الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة
على الرضى والشكر وقيل اراد بها ما انعم الله به على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل
وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان اليا واسقاطها درجا
وهو مذهب من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها ﴿واوفوا بعهدي﴾ بالايمان والطاعة ﴿اوف بعهدكم﴾ بحسن الاثابة
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد
اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعد لهم الثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول
مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدما والمال واخرها منا الاستغراق في بحر
التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقا الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف
بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى قوله ولادخلنكم
جنات تجري وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة ﴿واياي فارهبون﴾ فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد
وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفا الجزايية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد و
الوعيد دالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد وان المومن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى ﴿وآمنوا بما
انزلت مصدقا لما معكم﴾ افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفا بالعهود وتقييد المنزل
بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعا
الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام
بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها الصلاح من خوطب بها
حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه
على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ﴿ولا تكونوا اول كافر به﴾ بان الواجب ان تكونوا
اول من امن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر
وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة
فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به
الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن
فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوال من وال فابدلت

صوابه الافادة

همزته واوا

همزة واوا تخفيفا غير قياسي او اوّل من ال انقلبت همزة وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ
الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون
بالايمان واتباع الحق ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب به لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب
بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس
الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تكتبونه في خلاله
تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفا على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون بمعنى كاتمين اي وانتم تكتمون وفيه اشعار بان
استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل
قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلاة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلاة
ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة
من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة
فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل
صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة
اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك
ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر
وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر
في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت
في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة
ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على
العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم
يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله
على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء

صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته
والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان
الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم
لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على
حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او الصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلاة والالتجا اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب
وجبر المصائب روي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعا وانها اي وان الاستعانة
بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها
لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه
الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون
الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه
لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه
متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها
واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه
السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين و
استدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس
شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى و
على هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد
منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى
المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون
قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان

عليه وهو

عليه وهو ان يجزي عنه او يغنيه وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرا
ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية
المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات
والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباهم تشفع
لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل
وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء
والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتى وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب
في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان
فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي
ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلك الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله
عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما
من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على
ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من
خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه
او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله فمرت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على
بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على
آل محمد اي شخصه واستغني بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك وغرقهم واطباق البحر عليهم او
انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه
تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها

فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة
من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام
ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة
النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكيا
واخباره صلى الله عليه وسلم عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة واعدنا لانه تعالى وعده
الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها او معبودا من بعده من بعد موسى اي مضيه
وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي
الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية
الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل
في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ
قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع
الى من خلقكم بريا من التفاوت وميز بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره
اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشا كقولهم برا الله آدم من الطين
او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها
لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه و
قريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي
حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية
للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب
عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم
او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم
بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم
الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل
وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم

واذ قلتم

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لأجل قولك أو لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الأصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنه نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول
وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم
موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التورية وكلمك أو أنك نبي فأخذتكم
الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام وطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في
الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة
ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وأنتم تنظرون أي ما أصابكم بنفسه أو أثره ثم بعثناكم من بعد
موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث بالموت لأنه قد يكون عن إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم
تشكرون نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم
من الشمس حين كانوا في التيه وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل
الثلج من الفجر إلى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا
تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على إرادة القول وما ظلمونا فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا
هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لأنه لا يتخطاهم ضرره وإذ قلنا ادخلوا هذه
القرية يعني بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر
أو الحال من الواو وادخلوا الباب أي باب القرية أو القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في
حيوة موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكرا على إخراجهم من التيه وقولوا حطة أي مسألتنا
أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول
قولوا أي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم
ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه
أنه أبدلت الياء همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين
الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال
توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وإن
لم يفعله فكيف إذا فعله وأنه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما أمروا به من التوبة
والاستغفار طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا فأنزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعارا
بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به في موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الأصل ما يعاف عنه

رؤية ج

وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون
الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان
حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه ادم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصى او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه
عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره
ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه
اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من اس الجنة
وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت
او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من
المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض
مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم
المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرق السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما
يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب
الهوى من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا
في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون به انه
لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم
واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب
فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن
للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان لما وقع موقع الحال وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه
فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة
فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة
والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه

اذا خرج منه

اذا خرج منه وقرى بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون
وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب **فان لكم ما سالتم**
وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة لمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعم واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وباءو بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بايات الله**
ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال
المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله من التورية
عليه وسلم وقتلهم الانبيا فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز
قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**
اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب
كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو
بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى
مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول
رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات
وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين امنوا** بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد
عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا
يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما
معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام **والنصارى** جمع نصران كالندامى والياء في نصراني
للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسمي باسمها
او من اسسها **والصابئين** قوم بين النصارى واليهود والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة
او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل **من امن بالله واليوم الاخر وعمل**
صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من
هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا **فلهم اجرهم عند ربهم** الذي وعد لهم على ايمانهم
وعملهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه

معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم
الطور حتى اعطيتم الميثاق روى ان موسى لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبريل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة جد وعزيمة
واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او
رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد
عليه السلام يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في
فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افادت اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت
غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام و
اشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر
الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار و
الطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله
كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح
القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل
للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم
في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى
لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه
وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال
وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزو او اهله
او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل

وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا
لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال
انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها
وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر
من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة
من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم
ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع
كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد
الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك
ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة
وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد
وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا
وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وا
دغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابهة
ومشتبهة ومشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن
للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة
لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله
من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها غير لون جلدها

وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف
البقرة وحققتها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار
والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة
في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها
لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه
الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف
وقتيهما اذ المعنى انهم ما كادوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى
الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان
يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت
لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه
لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل
الشخص والقتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب
كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف فهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم
آياته دلايله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احيا نفس قدر على احياء الانفس
كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتدا وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم و
التنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي
بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثماية دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان
من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين
زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها
لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل
في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الايات
فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او
ازيد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على الاشتداد القسوتين
واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها

وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما
يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هولاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة
والخشية (مجاز عن الانقياد) وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله
بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون
بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمومنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يومنوا لاجل دعوتكم يعني
اليهود وقد كان فريق منهم طايفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد عليه
السلام واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هولاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا من بعد
ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبار هولاء ومقدميهم
كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا
يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين
لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق منهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله
عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون
الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه
وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه
افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمومنين
متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هولاء المنافقين
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
جهلة لا يعرفون الكتاب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع
امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرء
والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من
قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون
ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه

كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اى تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا
يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء
للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته
بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة
الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا
لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما
معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير
وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره تعالى محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى
اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه
من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من
كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانه من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي
استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره
وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من
اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب
وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا
لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته
وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم
فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده لترجى
رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار
في معنى النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما
حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له
بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم

ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولوا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بفتحتين وحسنى
لغة اهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما
ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول ومن
قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ
ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى
جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض
بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها
ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك
انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفات منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها
معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو
الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما
والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى
تتظاهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم
كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى
وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر
تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض
والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان
افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل

ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل
عما تعملون تاكيد للوعيد اى الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على
الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا
الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون
بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله
ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى بن مريم
البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل
اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق اراد به جبرئيل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها
الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرا ابن كثير
القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا
احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا
وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا
كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم
حول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا
يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية
العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون عا فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول
ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى
العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم
ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه

لما معهم

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا من الحق كَفَرُوا بِهِ حسدا وخوفا على الرياسة فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ اى عليهم
واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا
لان الكلام فيهم بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ما نكرة بمعنى شى مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته
ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
هو المخصوص بالذم بَغْيًا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ لان ينزل
اى حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف مِنْ فَضْلِهِ يعنى الوحى عَلَى مَنْ على من اختاره
للرسالة فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما
السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة
لذنوبه وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ يعم الكتب المنزلة باسرها قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا اى بالتورية
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ حال عن الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما
يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وَهُوَ الْحَقُّ
الضمير لما وراءه والمراد به القران مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية
فقد كفروا بها قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اعتراض عليهم بقتل الانبيا مع ادعاء الايمان
بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل اباءهم وانهم راضون به عازمون عليه وَلَقَدْ جَاءَكُمْ
مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ يعنى الايات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ
اى الها مِنْ بَعْدِهِ بعد مجى موسى او ذهابه الى الطور وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن
بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا
الاية التى بعدها وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا اى قلنا لهم
خذوا ما امرتم به فى التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قَالُوا سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم وذلك
لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
إِيمَانُكُمْ اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات
الثلاث الزاما عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ تقرير للقدح فى دعويهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مومنين
بها ما امركم بهذه القبائح ورخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مومنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان
المومن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذن لستم بمومنين قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ

الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال
من الدار من دون الناس سايرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه
من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من دار ذات الشوايب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط
الموت علي وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح
من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من
موجبات النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها
عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر
لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين
تهديد لهم على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله
الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حياة لانه اريد بها فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام
ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس على الحيوة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة
فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزا على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف
لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا
عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف
سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار
تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة
كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم
قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال
ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع
عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه
مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة
فقال لين كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثماني لغات قرئ بهن اربع في المشهور

جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأ ابن كثير جبرئل كجحمرش قرأ عاصم
وجبرائيل كقنديل قرأ الباقون واربع في الشواذ جبرئل وجبرائل وجبرائيل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف
ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه
كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكر على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه
على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل باذن الله بامره او
بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب
الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله
عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته
انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا اي فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده
وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم
فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب
وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكال ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون
من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال
لرسول الله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك او كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار و
الواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ باسكان الواو على ان التقدير الا
الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه
يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم
الاقلون او ان من لم ينبذه جهارا فهم يؤمنون خفيا ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى
ومحمد نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها
فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل لما جاء الرسول وهو القرآن وراء
ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين ان جل اليهود اربع فرق
فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون
وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة

لمجاهرو ابنبذها ولكن نبذ واجهلهم بها وهم الاكثرون وفرق تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين
بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب
السحر التى تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلوا حكاية حال
ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن
والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما
عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون
الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا
يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا
تميز الساحر عن النبى والولى واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة
اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز ولما فيه من الرقة لانه فى الاصل لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على
السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء
من الله للناس وتميزا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على
ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويويده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف
على ما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انه بلد من سواد
الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما
نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به
وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلمانه حتى يقولا
انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من
السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات
بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اى اليهود لمن اشتراه اى استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله
والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له فى الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم

يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقته ما يتبعه من العذاب
والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير
تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول
والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو
واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على
ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى
لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة
لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر او
العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان
المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقنا حتى نفهمه وسمع اليهود
فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره
اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين
اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا
واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به
بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين
ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين
كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول
يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم
به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص
برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو
الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل
لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا
ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة
عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك
نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها

او بهما جميعا او ننساها اذهبها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية
وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ الشيء اى نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو
عمرو ننساها اى نوخرها من النساء وقرئ ننسها اى ننسى احدا اياها وتنسها اى انت وتنسها
على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على النسخ
والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما
يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد
وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ
الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم
الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون
كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما
من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات القديم أَلَمْ تَعْلَمْ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدء علمهم أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها
على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ام
معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر عليها على الاشيا كلها يامر وينهى
كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسوال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم
بالثقة وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء
وقيل فى المشركين لما قالوا لن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقراه وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ومن ترك الثقة بالايات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق
المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويودى
بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ ويبدل من ابدل وَدَّ كَثِيرٌ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يعنى احبارهم لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ان يردوكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون
اللفظ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حَسَدًا علة ود مِنْ عِنْدِ
أَنْفُسِهِمْ يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا

مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة فى التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه
حتى يأتى الله بامره الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى
النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شىء قدير
فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر و
المخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا
من اقدم تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء
فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولى الفريقين كما فى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى
ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار
اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير
من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الاية على حذف المضاف اى
امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من
اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره الذى
وعد على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء اى
امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم
من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة
وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد
النسخ ليس بشىء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر
بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منه لحق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل مكان

ان كنتم صادقين فى دعواكم
فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت

مرتبة للصلاة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا
رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم
او التعطيل اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في
المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي رضي الله عنهم بين المسجد
الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم
وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا تختص به مكان دون
مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي
اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية
لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء
او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها
نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة
فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل
هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت
لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم ممن وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه
له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها
وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في
السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون
له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال
قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما
فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما
بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على

ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع
السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحا
هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر
الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه
عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع
من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ
بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل
القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سماوات واطلق على
تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء قولا كقوله من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون
من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته
بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو
ان ايجاد الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب
النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى
باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا
حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا
يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا آية حجة على
صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات الله استهانة به وعنادا كذلك
قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ
بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما
قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او
كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسأل على
انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر
ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا

منه حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملتك ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل
تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت
الكتاب اذا امليته والهوى راى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به
مومنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه
وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مومنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به
بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر
بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن
نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى
النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات كلفه باوامر
ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء ولكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من
يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد
التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة
فى قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله
اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك
الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه
الايات التى بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا
البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابرهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام
لقوله وابرهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك
للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ فكانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك
او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام
وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام
اسم من يؤتم به وامامته عامة موبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال
ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب ساكرمك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتى بالكسر

وهو لغة قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة
وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقيا وفيه
دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرى الظالمون والمعنى
واحد اذ كل ما نالك فقد نلته وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مَثَابَةً
لِلنَّاسِ مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره و
قرى مثابات لانه مثابة كل احد وَأَمْنًا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجانى الملتجى
اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى على ارادة القول او عطف على
المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة
محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه والموضع الذى كان فيه حين
قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه السلام اخذ بيد عمر
فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام
ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان
وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى
وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به
يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ امرناهما أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ بان طهرا ويجوز
ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او
اخلصاه لِلطَّائِفِينَ حوله وَالْعَاكِفِينَ المقيمين عنده او المعتكفين فيه وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ اى المصلين
جمع راكع وساجد وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا يريد به البلد او المكان بَلَدًا آمِنًا ذا امن كقوله
عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ابدله
من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قَالَ وَمَنْ كَفَرَ عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر
قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف
الامامة والتقدم فى الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا خبره والكفر وان لم يكن سبب
التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك
عطف عليه ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم و
قليلا نصب على المصدر او الظرف وقرى بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفى قال ضميره

وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف
المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس
المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع
ويحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد
رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم
لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في
طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع
لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم
اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين
على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض
ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا
بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال
الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد
صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين و
فصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى
ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو
ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها و
قرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا
هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا
منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال صلى الله عليه وسلم انا
دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليهم
من دلايل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام
ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له
ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد

عن ملته إلا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد
وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه
على الرفع فنصب على التميز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر
ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب
لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة
العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه
او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ظرف
لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح
والمستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر
بباله دلائله المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها إبراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل
فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر
اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه
ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه
ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق
ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي
ويهودا ويشسوخر وزبولون ودان ونفتولي وجاد واشر وبنيامين ويوسف إن الله
اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ظاهره
النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحالة اذا ماتوا
والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا
على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان
اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت
أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر
يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم حاضرين
غايبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمومنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ
حضر بالكسر إذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه اراد

تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شي ما لم يعرف فاذا
عرف خص العقلا بمن اذا سئل عن تعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله
ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا
للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية
اباى وقرى اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال وبكين وفديننا بالابينا او
مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح
بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني
ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تومها لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تواخذون
بسياتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغايب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى
مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب
الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مايلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف
او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم
فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمومنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما
انزل الينا القران قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي
ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه
وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم
ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة
المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود
فنومن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله
مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا
بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية
والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او

مزيدة

مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم
كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد قراءة من قرا بما امنتم به او بالذي
امنتم به فان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق
الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمومنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى
انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون
ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته او ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره
وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر موكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة
لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشركه كشرككم وهو عطف على امنا وذلك
يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا
على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا
اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو
كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان
كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحدون بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا ام
منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة
في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وهولاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب
لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة
في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير و
الزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا
تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين
لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب
ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها
الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان
دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة
اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا
قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم
المكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط
كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد و
الجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه
باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا
بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل
الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون
بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله
ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول
الامم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب
المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر
امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن
الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول